تقييم رسائل النور من زاوية تصنيف العلوم

أ.د. ألب أرسلان آجق كنج*

العلم بمعناه لأول وهلة يعني »المعرفة« وان وضع هذا المعنى العام والاول بعين الاعتبار يمكن أن يدلنا على بداية الطريق في مجال تصنيف العلوم. وعندما نقول »تصنيف العلوم« علينا أن نوضح أولاً أنه يقصد به نظام مصطلح »العلم« لكن ومن منظور تناول قضية مفهوم »العلم« التي يمكن أن تعد شرطاً أولياً لهذا التصنيف ، فإننا ندعي أنه تجب دراسته في هذا المعنى العام والاولي. وإننا نقصد من ذلك أنه يتم تصنيف العلوم ابتداء واتجاهاً من العام نحو الخاص.

وإذا تناولنا الموضوع من هذه الزاوية، يمكن أن نعتبر جميع المعلومات مدخرات ذهنية. لكن المعلومات التي تكتسب بالتربية والتعليم، رغم أنها تنفصل عن المعلومات الأخرى من ناحية الميزات والمضمون إلا أنها مضطرة للالتحاق حسب انواعها تحت نفس الجنس، وذلك من زاوية كونها مدخرات ذهنية. وهذا النوع من المعلومات مرتبط بالتجربة، لكنها بعيدة اكثر من التجربة. وذلك لو كانت قريبة من التجربة فلا يمكن تجريدها وتعميمها. وبهذا نستطيع القول بوجود نوعين من المعرفة بالمعنى العام:

الاول: المعرفة اللازمة لنا خلال الحياة اليومية وهي »المعرفة الحياتية« التي نحصل عليها بشكل طبيعي.

الثاني: هي المعرفة المشخصة النقية التي نحصل عليها بشكل معين وضمن إطار محدد. ونسميها »علم« او »المعرفة العلمية« وذلك لان هذا النوع من المعرفة انفصل عن الفوضى الموجودة في المعرفة الحياتية ودخل نظاماً معيناً يعبّر عنها باصطلاحات وشكّل زمرة ذخيرة معرفية متكاملة ، فنطلق عليها اسم »علم« معين وفق نظام خاص.

وهذا القول يدلنا على النتيجة التالية: إن الشئ الذي نسميه بشكل عام »معرفة« هو كل مدخراتنا الذهنية. وفي نطاق هذا التعريف العام نستطيع القول ان كل شيئ في ذهننا؛ التجارب، والاعتقادات، والظنون، والنظريات، والآراء، والمفاهيم، والافكار، وغيرها يمكن تناولها على انها معرفة. إذاً كل شئ في ذهننا هو قسم من معرفتنا ونقوم أحياناً باستخدامها في حياتنا اليومية وفي دراساتنا العلمية حتى لو كانت خطأً. وفي هذه الحالة إذا قلنا »المعرفة هي الحكم الصحيح بصورة مطلقة« ، فإن ذلك يكون غير كافٍ لفهمنا للمعرفة. وذلك لان الصحيح المطلق هو نوع معين من المعرفة فحسب.

ومن الواضح هنا اننا سنناقش العلوم التي تهمنا. لذلك فإننا نريد ان نحصر المعرفة بكل انواع المعرفة العلمية بالمعنى العام. وبذلك فإن »العلم« بالمعنى التقني يشمل معرفة جميع العلوم الكونية، مثل الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا »الاحياء« ، وعلم الفضاء، الى جانب علم الاجتماع، والتاريخ ، وعلم الانسان وغيرها من العلوم الاجتماعية، والفلسفة، والاخلاق، وعلم النفس وامثالها من العلوم الانسانية، والتفسير، والحديث ، والكلام، والفقه وغيرها من العلوم الاسلامية، وإننا نطالع معرفة هذه العلوم تحت هذا الإطار. وبهذا عندما يتناول الموضوع بالمعنى العام، فإنه سيتم عصر مفهوم العلم في نوع خاص من المعرفة، وذلك من وجهة علاقته بدراستنا.

والذي يهمنا هنا، السعي لإيضاح مكانة رسائل النور وشرح اهمية ذلك ضمن مفهومنا العلمي. لذلك فقد تناولنا الموضوع بشرح مفهومنا للعلم اولاً. والآن سنصل الى التصنيف العام للعلوم وسنسعى لتحديد مكانة رسائل النور داخل هذا التصنيف. ودراستنا هذه لها أهمية من الزاوية التالية؛ تبيان فيما إذا كان يوجد علم في رسائل النور أم لا ؟ وإذا كان هناك علم فما هو نوعه؟ ونود ان نبين هنا ان اسلوب تناولنا للموضوع سيتخذ الزاوية الاسلامية أساساً له. وكوننا بينا في دراساتنا السابقة مقصدنا من هذه الزاوية بشكل مفصل لذا فإننا سنتناول التطبيق فقط دون الدخول في الموضوع(١) وسيتخذ القرآن والحديث كمصدر اساسي في تعريف وتصنيف هذا العلم، وإن التعليق عليها وتناولها كنقطة حركة اساسية سيقدم من زاوية العلوم المتعلقة بموضوعنا. كما سنسعى لعرض أدلتنا التي تدافع عن رأينا بشكل قصير ومختصر(٢)

وبما أن علينا ان القاء نظرة على المصادر الاساسية للاسلام خلال التقييم العام للعلوم في هذه الحالة فيجب ان ندرس النتائج التي نستخلصها من هذه المصادر. فمثلاً إننا نشاهد في القرآن ذكر علم خاص. وإن مصدر هذا العلم الخاص، هو الوحي في الاصل، وكى نعرف ماهية هذا العلم علينا أن نرجع الى القرآن.

وإذا درسنا القرآن بشكل دقيق نشاهد أنه يصف المعرفة قبل كل شيئ. وإذا لم نفهم كيفية وصف المعرفة من منظور القرآن، او إذا اهملناها، فإننا نبقى وجهاً لوجه لخطر فقدان الهدف الاصلي للقرآن. وذلك لأن القرآن والسنة يوليان اهمية كبيرة للمعرفة. لكن القرآن يوضح باهتمام وجوب وصف المعرفة صاحبة الاهتمام بشكل خاص. وكوننا سنقوم بالتقييم العلمي لرسائل النور التي سنتناولها هنا ضمن إطار هذه الصفة، فإننا سنسعى لتناول الموضوع من هذا المنظور.

وإن قول القرآن إنما يخشى الله من عباده العلماءُ(٣). لم يكتف بعرض اهمية العلم بل عين المرتبة العظمى التي يجب ان يتوصل إليها العلماء. وإن الآية الكريمة التي توضح قيمة المعرفة كمعرفة على أوضح شكل هي: هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون(٤). وبالنسبة لنا فإن العلم يشير إلى المعرفة. ومن طرف آخر فإن الرسولﷺ قد اُمر أن يدعو بقوله وقل ربّ زدني علما(٥) ويمكننا أن نستخرج مفاهيم تشير الى اهمية العلم في آيات أخرى كثيرة الى جانب هذه الآيات(٦).

كما أن هناك عدداً كبيراً من الأحاديث التي تبين اهمية العلم كمعرفة. وإذا القينا نظرة على بعض هذه الاحاديث؛ نجد في صحيح البخاري يبين ان من أشراط الساعة يرفع العلم، ويظهر الجهل(٧). قال عروة فيما ذكر؛ أن النبي ﷺ قال: »إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم. ويبقى في الناس رؤساء جهالاً. يفتونهم بغير علم. فيضلون ويضلون«(٨).

كما تنقل كثير من كتب الحديث ان الرسول ﷺ يقول:

»من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وان الملائكة لتضع اجنحتها رضاً لطالب العلم، وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء، وان فضل العالم على العابد كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب،

و»ان العلماء ورثة الانبياء، وإن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه اخذ بحظ وافر«(٩) .

وفي حديث آخر يقول: »إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له« (١٠) كما ان »مداد العلماء خير من دم الشهداء«(١١) . وكي يبين اهمية ذلك تم استخدام التعابير العددية . فنجد ان ابو داود ذكر في السنن الاحاديث التالية (١٢) »من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك لله به طريقاً من طرق الجنة«، »وإن فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب«، »العلماء ورثة الانبياء«، »من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة «، كما ان الترمذي يذكر في قسم »كتاب العلم« في صحيحه صحيحة الأحاديث التالية »مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فيهِ علِماً سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ« »مَنْ خَرجَ فِى طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ في سبيلِ الله حَتَّى يَرجعَ«.

ورغم عدم وجود قسم خاص باسم »باب العلم« في سنن ابن ماجه الا اننا نشاهد فيها حديثاً مهماً جداً وهو : »طلب العلم فرض على كل مسلم« (١٣) .

لقد فسرت كلمة العلم في الآيات والاحاديث التي ذكرناها حول اهمية العلم بمعنى »المعرفة«. وفي الحقيقة رغم ان هذه الكلمة استخدمت بمعنى »المعرفة«، فإننا نستطيع ان نشاهد بسهولة إذا دققنا النظر في القرآن والسنة ان المقصود من العلم هو نوع معين من المعرفة. فمثلاً تقول الآية الكريمة ...ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير (١٤). وبما ان الذي انزل على الرسولﷺ هو الوحي، فإن المقصود هنا من العلم هو الوحى. والحقيقة انه في كثير من الآيات القرآنية تدل على ان العلم هو المعرفة التي جاءت مع الوحي:»فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل ....(١٥). وكذلك انزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق(١٦)....انما

أُنزل بعلم الله...(١٧). ولقد آيتنا داود وسليمان علما.....(١٨). ويتضح من جميع هذه الآيات ان القرآن وفق بين الوحي والعلم. لكن هناك آيات قرآنية تدل على ان العلم والوحي ليسا شيئاً واحداً: ولقد جئناهم بكتاب فضلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (١٩). وهذه الآية توضح أهمية العلم كمعرفة، وان الوحي جاء بعلم معين. كما انه جاء في الآية ٤٣ من سورة الرعد ....ومن عنده علم الكتاب. وهي تفرق بين الوحي والعلم الذي جاء به الوحي. ويشاهد هذا التفريق في كثير من الآيات الأخرى(٢٠).

لكن عدم التوحيد بين الوحي والعلم لا يوجب إنكار الرابطة بينهما. بل العكس إن جميع هذه الآيات تربط بين الوحي والعلم بشكل دقيق. وسنتناول هذا الارتباط فيما بعد بشكل اوسع وخاصة بما يتعلق برسائل النور. واود ان اشير هنا الى وجهتين آخرتين للعلم ظهرتا نتيجة التحليل هنا:

الاولى: »علم الوحي« وهو المعرفة التي نقلها لنا القرآن الكريم بذاته

الثانية: العلم الذي نوّر بالوحي، وهو المعرفة التي حصلنا عليها بامكانياتنا باي شكل من الاشكال. وكي نستطيع طرح ذلك بشكل واضح سنسعى الآن لعرض العلاقة بين الوحي والعلم من منظور القرآن الكريم.

والسنة التي هي امتداد للقرآن في المجتمع تعكس الرابطة الدقيقة بين الوحي والعلم بشكل جميل. وفي الاصل إن العلاقة بين الوحي والعلم قوية في الاحاديث حتى ان علماء الرعيل الاول كانوا يفهمون من كلمة العلم علم الحديث. وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح في قسم »كتاب العلم« في كتب الحديث. حتى انه في الحديث التالي تم عرض التوحيد بين العلم والوحي، وذلك ضمن اطار الدين الذي هو الشمول الاوسع للوحي : »من يرد الله به خيراً يفقه في الدين«(٢١) . وهذا يعني رغم ان الوحي والعلم ليسا شيئاً واحداً، إلا ان وجود علاقة قريبة ودقيقة بينهما يدل على ان الوحي اكسب العلم بعداً جديداً. وهذا البعد من منظور القرآن هو بلا شك البعد الايماني. وذلك لأن بعض الآيات تدل على ان اموراً كثيرة لا تعرف إلا من طرف المؤمنين: .....فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم...(٢٢).. بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم(٢٣). ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٢٤). كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (٢٥) . وفي هذه الحالة يمكننا ان نقول ان القرآن تناول الوحي والعلم في إطار واحد لأن: الوحي ينفذ إلى العلم وينيره ويجعله حقيقة. وبهذا يظهر البعد الايماني الذي اكسبه الوحي للعلم. والموقف الذي يكتسبه العالم دخل علاقة الوحي - الايمان - العلم، يختلف كثيراً عن الموقف الذي يوحي بعدم التقيد بالعلم باسم عدم التطرف والانحياز. وذلك لأن الموقف الذي سيظهر من العلاقة بين الشخص والعلم الذي حصل عليه سيكون ظاهرة يمكن ان نسميها »العلم المنور« . وفي مثل هذه الحالة يصير العلم موصوفاً وليس في المعنى العام.

وإننا نشاهد في مواضع كثيرة الإشارة الى هذه النقطة في رسائل النور.

»ان نور الفكر ظلام يفجر ظلماً مالم يتوهج بضياء القلب«(٢٦)

وهذه الحقيقة التي اولاها بديع الزمان اهتماماً كثيراً: »نور الضمير هو العلوم الدينية«(٢٧) . تسلط الضوء على هذا الوضوع. وذلك لأن تنوير العلوم الدينية للقلب كونها محصول الوحي، هو نتيجة العلاقة بين الوحي والعلم. وإن ذكره لضرورة القلب المنور للفكر يشير الى الموقف الذي سيمناه »العلم المنور«. ويمكن ربط العلاقة بين العلم والوحي كون العلم الذي يصفه الوحي دليل لانواع العلوم الاخرى. ولنتناول هذا الموضوع من زاوية مختلفة:

إن المعرفة التي يمكن ان نسميها »العلم المنور« هي ليست ظاهرة ذهنية تلاحمت مع العلم الالهي المطلق الذي جاء مع الوحي فقط، بل هي بنفس الوقت مستوى تجربي مرتبط بالتطبيقات المنعكسة على السلوك ونمط الحياة. لذلك فإن العالم المسلم لا يستطيع ان يكون غير مقيد بعلمه. بل العكس عليه ان يعمل بعلمه ، ومن وظائفه ان يسعى وراء العلم الذي يجب ان يعمل به والذي هو من واجبات العلم ذاته.

ويتضح من هذه النتيجة العامة ان القرآن والسنة لا يفرقان بين انواع العلم، بل يعدان العلم معرفة. لكن العلم، او الفلسة، والمعرفة التقنية إذا لم توصف بالوحى يعنى انها لم تصعد الى مستوى العلم القرآنى المنور. العلم المنور هو المعرفة التي ينفذ إليها الوحي بالايمان. وهذا المستوى الذي يجب ان تصل اليه جميع انواع المعرفة ضمن الاطار الاسلامي. وضد هذا العلم هو الجهل؛ ومهما حصل الشخص على المعرفة، ومهما كان في اعلى مستويات المعرفة، إذا لم يصل الى هذا المستوى العلمى، فإن معرفته متساوية مع الجهل وتضر بالانسانية.

... وإن كثيراً ليضلون بأهواءهم بغير علم...«(٢٨).

قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءً على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين(٢٩).

... فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم...(٣٠).

وإذا وضعنا المفهوم الاخلاقي لهذه الآيات بعين الاعتبار فإن المقصود من »بغير علم« او »جهل«، ليس ان هؤلاء ليسوا اصحاب اية معرفة، بل العكس انما المقصود ان المعرفة التي يملكها هؤلاء لم تنور بالايمان والوحي. وذلك لانه يتضح ان الاشخاص الذين تناولتهم الآيات هم اصحاب معرفة كثيرة. إذاً فهؤلاء لم يصلوا الى مرتبة العلم المنور. وتتضح هذه الخاصية في آيات اخرى كثيرة.

قال إنما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوماً تجهلون(٣١).

... ولكن اكثرهم يجهلون (٣٢).

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما(٣٣). وهذا يدل على ان الجاهل في الاطار الاسلامي ليس هو الذي ليس له معرفة فقط وانما الشخص الذي يملك علماً لكن لم ينفذ الوحي الى علمه بالايمان. وقد تم تناول هذا الموضوع في رسائل النور بشكل واضح واسلوب مؤثر. وسنكتفي هنا بمثالين فقط:

»ان لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن - أياً كان - حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند الى اسم من الاسماء الحسنى، وباستنادها الى ذلك الاسم - الذي له حُجُب مختلفة ، وتجليات متنوعة ، ودوائر ظهور متباينة - يجد ذلك الفن وذلك الكمال وتلك الصنعة، كلٌ منها كمالَهُ ويصبح حقيقةً فعلاص، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش«(٣٤).

ويتضح من ذلك ان التوصل الى العلم المنور بدون الوحي يكون ناقصاً ومقطعاً، وهذه مالا يرضاه الاسلام. وذلك لأن الوحي ليس موجهاً للعلم فقط، بل هو علم بذاته ايضاً. وخاصة هناك مواضيع لا تعرف الا بالوحي وهي التي نسميها »الغيب« مثل وجود الله، وذاته، والآخرة، وماهية الوحي، وحرية الانسان وغيرها. إذاً معرفة هذه الامور هو علم الوحي، وهذا يدل ايضا على ان الوحي يحتوي على نوع من المعرفة.

وسنسعى لا يضاح هذا الموضوع الذي تناولته رسائل النور بالمثال التالي: لنفترض ان رجل علم كبير اكتشف اسلوباً جديداً وسهل عملية مداواة مرض سرطان الدم بايضاحه ماهية الكريات الحمراء والبيضاء في الدم . وليعتقد هذا العالم ان البشر سيتخلصون من هذا المرض بهذا الاكتشاف منكراً علاقة القوة الالهية بذلك. ففي مثل هذه الحالة وحتى لو كان هذا العلم المادي صحيحاً، إلا ان انتشار هذا العلم داخل المفهوم العالمي، وكونه سيؤدي الى انكار الله فستوصل الى نتائج خاطئة، لذلك فإنه يبقى عبارة عن سفسطة. وكما قال بديع الزمان:

»والطب - مثلاً - علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقته يستند ايضاً الى اسم من الاسماء وهو »الشافي«. فيصل الطب الى كماله ويصبح حقيقة فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم »الشافي« في الادوية المبثوثة على سطح الارض الذي يمثل صيدلية عظمى«(٣٥). وهكذا يتخلص من كونه سفسطة. »ان الفلسفة اللادينية سفسطة لا حقيقة لها واهانة للكائنات«(٣٦).

ويتضح من ذلك ان وصف العلم يجلب بعداً اخلاقياً. وقد تم تناول هذا الموضوع في الاحاديث على الاكثر وايقظ بذلك

ذهنية المعرفة الاسلامية في عقل المسلم. فمثلاً جاء في حديث يتناول هذا البعد الاخلاقي ما معناه: »..وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب«(٣٧).

كما روي ان الرسول ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء : »اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع« (٣٨). وهذا يعني ان المعرفة التي لم تنور بالوحي تجلب الى البشرية الضرر بدل النفع. كما يتضح ايضا ان المعرفة في الإطار الاسلامي لم تكن مهمة إذا كانت غير مقيدة بالحياة او إذا لم يتم وصفها. لكن نود ان نكرر هنا ان كون الوصف بعداً اخلاقياً فإن التحذير من المعرفة التي لا تنفع يجب سحبها لطرف الانسان. وذلك لان الذي ينتج المعرفة التي لا تنفع هو الانسان. لكن لا توجد مثل هذه الخاصية في العلم الذي ذكره الوحي. وذلك لان العلم الذي جاء بهذا الشكل يكون منوراً بذاته. ونود ان نذكر ايضاً الحديث الذي يشرح هذه الوجهة الاخلاقية(٣٩). إذاً فإن العلم المنور كأساس يظهر سلوكاً يجب اتباعه في المعرفة.

والنتيجة التي توصلنا اليها هنا تضع أمامنا تصنيفاً عاماً للعلوم:

الاول، خصصناه للمعرفة اللازمة لشروط الحياة العادية والمعرفة التي حصلنا عليها في الحياة اليومية والتي سميناها المعرفة الحياتية.

الثانية، المعرفة التي حصلنا عليها والمتعلقة بمعرفة الكائنات وذلك ضمن نظام معين.

والثالثة، المعرفة التي نقلها لنا القرآن بالوحي، واشرنا اليها باسم العلم الوحيي. والعلم الوحيي يتضح من الآيات المذكورة أعلاه انه هو الوحي بذاته . لكن إن اي تعليق وشرح نستخرجه من آية قرآنية رغم انها وحي بذاتها، لن يكون علم وحي، بل سيكون معرفة تستند الى الوحي. وكون هذه المعرفة بشكل عام تستخدم في الارشاد والتبليغ فإننا سنسميها »علم التبليغ« كي لا تخلط مع الوحي. والعلم المنور هو الوضع العلمي، الحياتي الذي توصلنا إليها بنفوذ العلم الوحي بشكل مباشر او بعلم التبليغ المستند على الوحي الي جميع معارفنا الاخرى. وإننا نعرض النتيجة هنا بتصنيف عام جداً للعلوم موضحاً بالشكل المرسوم ادناه:

العلم

العلوم الكونية

القرآن العلم الوحيي العلم المنور

علم التبليغ

وكما يشاهد اعلاه إن المعرفة التي يتم الوصول اليها بشرح العلم الوحيي وتطبيق منهجه تماماً هي علم التبليغ . وكونه يستند الى الوحي تماماً فإن غايته نفس غاية الوحي، وان الحصول على معرفة الكائنات مثل العلوم الكونية ليس من غاياته واهدافه. وقد فهمنا من الايات القرآنية المذكورة اعلاه، إن مفهوم العلم في القرآن يطلق على المعرفة التي جاء بها الوحي، والمعرفة التي يحصل عليها الانسان من الوحي، والمعرفة التي يستطيع الانسان الحصول عليها حول الكائنات (وقد سميناها هنا العلوم الكونية). إذاً نستطيع القول أننا توصلنا الى هذه الاصناف الثلاثة من المعرفة من مظنور القرآن.

وفي هذه الحالة نستطيع ان نبحث الآن في أى صنف تدخل رسائل النور التي هي أساس موضوعنا. وكون العلم الوحي هو القرآن »والكتب السماوية الأخرى، فسيبقى خارج بحثنا، وذلك لأنه لا يمكن ان يدخل اي اثر لإنسان في هذا الصنف من العلم. وكون رسائل النور تتحدث عن العلوم الكونية بكثرة يتبادر الى الذهن في الوهلة الاولى انه يمكن عدها في هذا الصنف من العلوم. ولكن إذا درسنا رسائل النور بدقة يتضح من هذه المواضيع انها لا تبحث في العلوم الكونية بشكل كامل. فمثلاِ

نجد ان رسائل النور تتحدث عن الدورة الدموية، لكنها لم تتناول الموضوع كما هو في علم الاحياء »البيولوجيا« ، بل استخدم كواسطة للوصول الى الغاية الاصلية(٤٠). كما ان تناولها لكثير من مواضيع الفلسفة لا يدل على أنها فلسفة. وذلك لأن الغاية هي الهداية والتي هي غاية الوحي، او بالعبارة التي استخدمها الاستاذ كثيراً »النجاة بالايمان« لذلك فإن كل هذه القضايا استخدمت كواسطة من اجل الغاية الاصلية. حتى انها رغم تناولها كثير من مواضيع علم الكلام بشكل مفصل ، الا ان غايتها لم تكن إعطاء درس في علم الكلام(٤١) . وهذا يدل على انه يجب تناول رسائل النور ضمن اطار »علم التبليغ«. إذاً ومن اجل إظهار الحقيقة بشكل أفضل سنقدم امثلة من رسائل النور عن خواص هذا العلم.

١- إن الغاية الاساسية والاهم لعلم التبليغ هي الهداية . وذلك لأن هذا العلم يتخذ الوحي فقط أساساً له ويعين غايته هدفاً لنفسه. وقد ادت رسائل النور هذه الحقيقة بشكل مجمل للغاية وبعبارة بليغة: »ان الوظيفة الاساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف دائرة العبودية وأحوالها«(٤٢) .

وإننا نشاهد ايضاحاً جميلاً لذلك في مذكرات بديع الزمان: »لقد اعطانى والى وان طاهر باشا غرفة في الطابق العلوي بقصره، كنت اقيم بها. وعندما كنت اصعد الى غرفتي ليلاً. في تلك الفترة كنت احفظ تسعين كتاباً. وكنت اقرأ كل ليلة ثلاث ساعات، وكنت اختمها كل ثلاثة أشهر: إننى أشكر الله عز وجل يا اخواني، لقد كانت محفوظاتى و تكراراتى هذه عتبة للصعود الى حقائق القرآن. ثم صعدت الى القرآن، ونظرت فشاهدت ان كل آية قرآنية تحيط بالكائنات. وصار القرآن كافياً لي، ولم تعد بي حاجة لأي كتاب آخر« (٤٣). ويذكر ذلك على الشكل التالي:

»هوت صفعات عنيفة قبل ثلاثين سنة على رأس »سعيد القديم« الغافل، ففكّر في قضية أن »الموت حق«. ووجد نفسه غارقاً في الأوحال.. استنجد، وبحث عن طريق، وتحرى عن منقذ يأخذ بيده.. رأى السبل أمامه مختلفة.. حار في الأمر واخذ كتاب »فتوح الغيب« للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي ا عنه وفتحه متفائلاً، ووجد امامه العبارة الآتية:

أنت في دار الحكمة فاطلب طبيباً يداوي قلبك..يا للعجب!. لقد كنت يومئذ عضواً في »دار الحكمة الاسلامية« وكأنما جئت اليها لأداوي جروح الأمة الإسلامية، والحال انني كنت أشد مرضاً واحوج الى العلاج من أي شخص آخر.. فالأولى للمريض أن يداوي نفسه قبل أن يداوي الآخرين.

نعم، هكذا خاطبني الشيخ: انت مريض.. ابحث عن طبيب يداويك!..

قلت: كن انت طبيبي أيها الشيخ!

وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللهجة يحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي.. فلم اتحمل، ولم اطق على تحمله.. لأني كنت اعتبر كلامه موجهاً الي.

نعم، هكذا قرأته الى ما يقارب نصفه.. لم استطع اتمامه.. وضعت الكتاب في مكانه، ثم احسست بعد ذلك بفترة بأن آلام الجراح قد ولت وخلفت مكانها لذائذ روحية عجيبة.. عدت اليه، وأتممت قراءة كتاب »استاذي الأول«. واستفدت منه فوائد جليلة، وامضيت معه ساعات طويلة اصغي الى اوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة.

ثم وجدت كتاب »مكتوبات« للأمام الفاروقي السرهندي، مجدد الألف الثاني فتفاءلت بالخير تفاؤلاً خالصاً، وفتحته، فوجدت فيه عجباً.. حيث ورد في رسالتين منه لفظة »ميرزا بديع الزمان« فأحسست كأنه يخاطبني باسمي، اذ كان اسم ابي »ميرزا« وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين الى ميرزا بديع الزمان. فقلت: يا سبحان الله.. ان هذا ليخاطبني انا بالذات، لأن لقب سعيد القديم كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحداً قد اشتهر بهذا اللقب غير »الهمداني« الذي عاش في القرن الرابع الهجري. فلابد ان يكون هناك احد غيره قد عاصر الامام الرباني السرهندي وخوطب بهذا اللقب، ولابد ان حالته شبيهة بحالتي حتى وجدت دوائي بتلك الرسالتين.. والامام الرباني يوصي مؤكداً في هاتين الرسالتين وفي رسائل اخرى أن:

»وحّد القبلة« أي: اتبع اماماً ومرشداً واحداً ولا تنشغل بغيره!

لم توافق هذه الوصية ـ آنذاك ـ استعدادي واحوالي الروحية.. واخذت أفكر ملياً: ايهما اتبع!. أأسير وراء هذا، أم أسير وراء ذاك؟ احترت كثيراً وكانت حيرتي شديدة جداً، اذ في كل منهما خواص وجاذبية، لذا لم استطع ان اكتفي بواحد منهما.

وحينما كنت اتقلب في هذه الحيرة الشديدة.. اذا بخاطر رحماني من ا سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي:

ـ ان بداية هذه الطرق جميعها.. ومنبع هذه الجداول كلها.. وشمس هذه الكواكب السيارة.. انما هو »القرآن الكريم« فتوحيد القبلة الحقيقي اذن لا يكون الا في القرآن الكريم.. فالقرآن هو أسمى مرشد.. وأقدس استاذ على الاطلاق.. ومنذ ذلك اليوم اقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه.. فاستعدادي الناقص قاصر من ان يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا ان نبين ذلك الفيض، وذلك السلسبيل لأهل القلوب واصحاب الأحوال، كلٌ حسب درجته. فـ»الكلمات« والانوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) اذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل ايضاً مسائل قلبية، وروحية، وأحوال ايمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية«(٤٤)

٢- وهكذا فإن تصوير رسائل النور هنا انها »ليست المسائل علمية عقلية وحدها، بل ايضاً مسائل قلبية، وأحوال ايمانية..«، يصدر عن كونها تعود إلى علم التبليغ. كما تذكر خاصية اخرى لصدور علم التبليغ عن القرآن مباشرة بنفس الشكل: »ان الحقائق والمزايا الموجودة في (الكلمات) ليست من بنات أفكاري ولاتعود اليّ أبداً وانما للقرآن وحده، فلقد ترشحتْ من زلال القرآن، حتى ان الكلمة العاشرة ماهي إلاّ قطرات ترشحت من مئات الآيات القرآنية الجليلة. وكذا الأمر في سائر الرسائل بصورة عامة.«(٤٥)

ويتضح هنا انه استخدم علم التبليغ الصادر عن القرآن مباشرة اساساً ونظاماً.

٣- علم التبليغ هو بنفس الوقت: »تجديد«؛ إذاً فإن ممثل هذا العلم »مجدد«. والتجديد هو صياغة حقائق الوحي من جديد دون تغييرها بمستوى العلوم المعاصرة وبمواجهتها . يعنى ان الـ »تجديد«، وليس »تغييراً« او »تبديلاً«، وانما عرض للحقيقة بشكل يتناسب مع فهم العصر. لكن لا بد ان تكون الحقيقة التي ذكرت على هذا الشكل قد تعرضت لبعض التجديد. وبسبب هذا التجديد فإن المعرفة التي باتت ناقصة او فقدت فاعليتها تصبح كافية ومؤثرة. وإننا نشاهد خاصية هذا التجديد في رسائل النور بشكل واضح:

»ثم ان الآثار المؤلفة والرسائل ـ باكثريتها المطلقة ـ قد أُنعمت عليّ بها لحاجة تولدت في روحي فجأة، ونشأت آنياً. دون ان يكون هناك سبب خارجي. وحينما كنت أظهرها لبعض أصدقائي، كانوا يقولون: »انها دواء لجراحات هذا الزمان«. وبعد انتشارها عرفت من معظم اخواني انها تفي بحاجة هذا العصر وتضمد جراحاته.«(٤٦)

».ان الاسس الايمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، اذ كانت توضيحات العارفين في الامور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

اما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها الى اسس الايمان واركانه، فوهب لي الحكيم الرحيم ـ الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب ـ وانعم عليّ سبحانه شعلةً من »ضرب الامثال« التي هي من اسطع معجزات القرآن واوضحها، رحمةً منه جل وعلا لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأُنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم. فله الحمد والمنة:

فبمنظار »ضرب الامثال« قد أُظهِرَتْ الحقائق البعيدة جداً انها قريبة جداً.

وبوحدة الموضوع في »ضرب الامثال« قد جُمِّعَتْ اكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً.

وبسلّم »ضرب الامثال« قد تُوصِّل الى اسمى الحقائق واعلاها بسهولة ويُسر.

ومن نافذة »ضرب الامثال« قد حُصّل اليقين الايماني بحقائق الغيب واسس الاسلام مما يقرب من الشهود.

فاضطر الخيال الى الاستسلام وأُرغم الوهم والعقل الى الرضوخ، بل النفس والهوى. كما اضطر الشيطان الى إلقاء السلاح.
حاصل الكلام:
انه مهما يظهر من قوة التأثير، وبهاء الجمال في اسلوب كتاباتي، فانها ليست مني، ولا مما مضغه فكري، بل هي من لمعات »ضرب الامثال« التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس حظي فيه الا الطلب والسؤال منه تعالى، مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي إلاّ التضرع والتوسل اليه سبحانه مع منتهى العجز والضعف.
فالداء مني والدواء من القرآن الكريم .(٤٧)
»ان قسمًا من مصنفات العلماء السابقين واغلب الكتب القديمة للاولياء الصالحين تبحث في ثمار الايمان و نتائجه و فيوضات معرفة الله سبحانه، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحدّ واضح ولا هجوم سافر يقتلع جذور الايمان واسسه، اذ كانت تلك الاسس متينة ورصينة.
اما الآن فان هناك هجوماً عنيفاً جماعياً منظماً على اركان الايمان واسسه، لا تستطيع اغلب تلك الكتب والرسائل التي كانت تخاطب الافراد وخواص المؤمنين فقط ان تصد التيار الرهيب القوي لهذا الزمان، ولا أن تقاومه.
أما رسائل النور، فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ اسس الايمان واركانه، لا بالاستفادة من الايمان الراسخ الموجود، وانما باثبات الايمان و تحقيقه وحفظه في القلوب وانقاذه من الشبهات والاوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة.
حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بانها اصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء.
ان الدواوين والمؤلفات السابقة تقول:
كن ولياً وشاهد وارق في المقامات والدرجات، وابصر وتناول الانوار والفيوضات!.
بينما رسائل النور تقول: كن من شئت وابصر! وافتح عينيك فحسب وشاهد الحقيقة وانقذ ايمانك الذي هو مفتاح السعادة الابدية.
ثم ان رسائل النور تحاول اولاً اقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين؛ لذا فالدرس الذي اقنع نفس المؤلف الامارة بالسوء اقناعاً كافياً و تمكّن من ازالة وساوسها وشبهاتها ازالة تامة لهو درس قوي بلاشك، وخالص ايضا بحيث يتمكن وحده من أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة - بتشكيلاتها الجماعية المنظمة - بل أن يجابهها و يتغلب عليها.
ثم ان الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وادلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الاولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وانما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا و امتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الاخرى، فتحلّق الى" اوج العلا وتصل الى" مراق لا يصل اليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلاً عن اقدامها وخطواتها، فتبين انوار الحقائق الايمانية وتوصلها الى عيونها المطموسة..« (٤٨)
إن لغة علم التبليغ »نافذة وقاطعة« جداً إن كان تعبير موفقاً. وبتعبير آخر :له اسلوب سلس مؤثر جداً. وهذا الوضع في الأساس ينبع من الوضع الروحي، القلبي، وحالة الشخص المأمور بالتبليغ. والمبلغ نذر نفسه للتبليغ على جميع المستويات. فإن حياته، وغايته، ومعنى وجوده هو التبليغ. والمبلّغ لا يكتب حقيقة إذا لم يعشها بالذات . لذلك فإنه يؤثر في الذي يسمعه في كل مسألة علمية كتبها ، وفي كل حالة قلبية، وروحية ، ومسألة ايمانية، وبالطبع إذا كان الآخر يستمع إليه بصدق. ولنستمع الى بعض الامثلة حول هذا الموضوع:
»حقاً! ان معرفة ا المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين ان تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل ا العلي القدير أن يجعل كل جزء من اجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضئ السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم.«(٤٩)

»لأن الكلمات:
تصديق وليست تصوراً.
وايمانٌ وليست تسليماً.
وتحقيق وليست تقليداً.
وشهادة وشهود وليست معرفة.
واذعان وليست التزاماً.
وحقيقة وليست تصوفاً .
وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءا(٥٠)

»ان رسائل النور لاتعمّر تخريبات جزئية، ولاترمم بيتاً صغيراً مهدماً، بل تعمّر ايضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة - صخورها كالجبال - تحتضن الاسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لاصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى ايضاً - وبيدها اعجاز القرآن - لمداواة القلب العام المجروح، وضماد الافكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الاسس الاسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ولا سيما عوام المؤمنين. نعم انها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والايمان.«(٥١)

٥- علم التبليغ هو المعرفة التي تنفذ الى جميع العلوم وتصفها وتوصلها الى مستوى العلم المنور. ويتضح من نتيجتنا هذه انه على كل عالم مسلم ان يتلقى العلم بنفسه من القرآن او يتلقى الدروس على يد عالم استخرجه منه، وإكسابه للعلم وجهة الوحي يعد من واجبات علمه. وكي نقدم مثالاً بارزاً على ذلك سنسعى لايضاحه بمثال من رسائل النور يبين كيف قامت المعرفة الوحيي بالنفوذ الى المعرفة الفلسفية ورفعتها الى المستوى النوراني:

».ياعابد الدنيا! ان دنياك التي تتصورها واسعةً فسيحةً ما هي الاّكالقبر الضيّق، ولكن جدرانه من مرآةٍ تتعاكس فيها الصور، فتراه فسيحاً رحباً واسعاً مدّ البصر، فبينما منزلك هذا هو كالقبر تراه كالمدينة الشاسعة، ذلك لأن الجدار الأيمن والايسر لتلك الدنيا واللذين يمثلان الماضي والمستقبل - رغم انهما معدومان وغير موجودين - فانهما كالمرآة تعكسان الصور في بعضهما البعض الآخر فتوسّعان وتبسطان اجنحة زمان الحال الحاضرة الذي هو قصير جداً وضيق جداً. فتختلط الحقيقة بالخيال، فترى الدنيا المعدومة موجودةً. فكما ان خطاً مستقيماً وهو في حقيقته رفيعٌ جداً، إذا ما تحرك بسرعة يظهر واسعاً كأنه سطح كبير، كذلك دنياك انت، هي في حقيقتها ضيقّة جداً، جدرانها قد توسعت ومُدّت بغفلتك وتوهم خيالك، حتى اذا ما تحرك رأسك من جراء مصيبة اصابتك،تراه يَصدم ذلك الجدار الذي كنت تتصوره بعيداً جداً. فيطيّر ما تحمله من خيال، ويطرد نومك. وعندئذ تجد دنياك الواسعة أضيقَ من القبر، وترى زمانك وعمرك يمضي اسرع من البرق، وتنظر الى حياتك تراها تسيل اسرع من النهر.

فما دامت الحياة الدنيا والعيش المادي والحياة الحيوانية هكذا، فانسلْ اذن من الحيوانية، ودع المادية، وادخل مدارج حياة القلب.. تجد ميدان حياةٍ أرحب، وعالم نورٍ اوسع مما كنت تتوهمه من تلك الدنيا الواسعة.

وما مفتاح ذلك العالم الأرحب الاّ معرفةُ الله، وانطاقُ اللسان وتحريك القلب، وتشغيل الروح بما تفيده الكلمة المقدسة (لا إله الاّ الله) من معانٍ واسرار «(٥٢) ويشير هنا الى الخطأ النفسي الناتج عن تطبيق مفهوم الوجود وعدم الوجود على حادثة الزمن، ويشرح بشكل مؤثر الدمار الذي سيجلبه هذا الخطأ للإنسان وذلك من منظور العلم الوحي. وبهذا يكون قد تم استخدام علم الفلسفة وعلم النفس في سبيل التبليغ. ولو كانت الغاية الاساسية هنا هي الفلسفة وعلم النفس، لكان يتم تناول ماهية مفهوم الوجود وعدم الوجود من الزاوية الفلسفية، ويتم عندها ايضاح كيفية حدوث الاخطاء النفسية وربما بالطرق

التجريبية والبصرية. ومع العلم فإنه بدأ بايضاح علم التبليغ اللازم الذي يعكس الاسلام على الحياة، ودون تعقيد هذه المواضيع، إذاً فإن غاية علم التبليغ هو منع انقطاع العلوم عن بعضها، وخاصة منع قطع علاقتها مع الوحي. وهذا ما أرادت رسائل النور القيام به في عصرنا هذا. وذلك لان علم التبليغ هو الذي ينور الوجهة المعنوية والقلبية للانسان بموجب هذه الحقيقة؛ اما الذي ينور الوجهة العقلية للانسان فهي علوم الكونيات »وقد اشار بديع الزمان للاولى باسم »العلوم الدينية« ، وبالاخرى باسم »الفنون المدنية«. وتتجلى الحقيقة بامتزاجهما. وعندما تفترقان يتولد عن الاولى التعصب وعن الثانية الحيلة والشبهة.(٥٣)

٦- والنتيجة التي توصلنا اليها تدل على ان علم التبليغ يستخدم معرفة جميع العلوم الاخرى باتجاه غايته وهدفه. ولكن العلوم التي هي على طراز علوم الكونيات لا علاقة لها بتلك المواضيع. وكما بينا سابقاً ان بديع الزمان يقول ان »وظيفة القرآن الاصلية هي تعليم كمالات وشؤنات دائرة الربوبية ووظائف واحوال دائرة العبودية « (٥٤). واذاً فإن الاثار التي تتحرك بنفس الوجهة والغاية والتي تدرس علما كالقرآن يجب ان تذكر العلوم الاخرى من اجل هذه الغاية الاصلية، لكنها لن تدخل في تفصيلات مواضيع هذه العلوم.

٧- وكون غاية علم التبليغ هو الهداية فأنه يستهدف الإنسان من كل طبقات المجتمع دون تفريق لذلك فإنه يستخدم جميع المواضيع والوسائط، من ابسط المواضيع الى أعمقها، ومن ابسط اساليب الكلام الى ادق الاصول العلمية. وبهذا يستفيد كل إنسان منه بنسبة قابليته وحدّه. لكن لا شك ان هناك فرق بين استفادة شخص عالم وبين استفادة شخص عادي.

»قبل حوالي خمسين سنة جرت بيني وبين اخي الكبير »الملا عبد الله« رحمه الله هذه المحاورة، سأوردها لكم:

كان اخي المرحوم من خواص مريدي الشيخ ضياءالدين (قدس سره) وهو من الاولياء الصالحين. واهل الطرق الصوفية لا يرون بأساً في الافراط في حب مرشدهم والمبالغة في حسن الظن بهم، بل يرضون بهذا الافراط والمبالغة، لذا قال لي اخي ذات يوم:

- ان الشيخ ضياء الدين على علم واسع جداً واطلاع على ما يجري في الكون، بمثل اطلاع القطب الاعظم!... ثم سرد الكثير من الامثلة على خوارق اعماله وعلو مقامه.. كل ذلك ليغريني بالانتساب اليه والارتباط به. ولكني قلت له:

- يا اخي الكريم، انت تغالي! فلو قابلت الشيخ ضياء الدين نفسه لألزمته الحجة في كثير من المسائل، وانك لا تحبه حباً حقيقياً مثلي! لانك ياأخي الكريم تحب ضياء الدين الذي تتخيله في ذهنك على صورة قطب اعظم له علم بما في الكون! فأنت مرتبط معه بهذا العنوان وتحبه لاجل هذه الصفة. فلو رفع الحجاب وبانت حقيقته، لزالت محبتك له او قلت كثيراً!

اما انا - يا اخي- فاحب ذلك الشخص الصالح والولي المبارك حباً شديداً بمثل حبك له، بل أوقره توقيراً يليق به وأجلّه واحترمه كثيراً، لانه:

مرشد عظيم لاهل الايمان في طريق الحقيقة المستهدية بالسنة النبوية الشريفة. فليكن مقامه الحقيقي ما يكون، فأنا مستعد لأن أضحي بروحي لأجل خدمته الايمان. فلو اميط اللثام عن مقامه الحقيقي فلا اتراجع ولا اتخلى عنه ولا أقلل من محبتي له، بل اوثق الارتباط به اكثر، وأوليه محبة أعظم وابالغ في توقيره.

فانا اذن يا اخي الكريم احب ضياء الدين كما هو وعلى حقيقته. اما انت فتحب ضياء الدين الذي في خيالك. ولما كان اخي المرحوم عالماً منصفا حقاً، فقد رضي بوجهة نظري وقبلها وقدرها.

فيا اخوتي، أيها السعداء المحظوظون الذين يضحون بانفسهم في سبيل الله! ان مبالغتكم في حسن الظن بشخصي، وان كان لا يضركم بالذات، الا ان امثالكم ممن ينشدون الحق ويرون الحقيقة، ينبغي لهم ان ينظروا الى الشخص من زاوية خدمته للقرآن الكريم ومدى انجازه لمهامه نحوه، فلو كشف النقاب وظهرت امامكم هويتي الملطخة بالتقصيرات من قمة رأسي الى اخمص قدمي لأشفقتم عليّ ولتألمتم لحالي ولكن لئلا انفّركم من محبة الاخوة التي تربطنا، ولئلا تندموا عليها فلا تربطوا

انفسكم بماتتصورونه من مقامات تضفونها عليّ وهي فوق حدي بكثير. فأنا لست سوى اخ لكم لا غير، وليس في طوقي ادعاء الارشاد والتوجيه ولا الاستاذية عليكم.. وكل ما في الامر هو اني زميلكم في تلقي درس الايمان. فلا تنتظروا مني همة ومدداً بل انا المحتاج الى معاونتكم وهممكم وأرجو دعواتكم المشفقة على تقصيراتي.

ولقد أنعم الله علينا جميعاً - بفضله وكرمه - واستخدمنا في أقدس خدمة واجلّها وأنفعها لاهل الايمان.. تلك هي خدمة القرآن. وندبنا للقيام بها على وفق تقسيم الاعمال فيما بيننا، فحسبنا استاذية وارشاد الشخص المعنوي النابع من سر اخوتكم واتحادكم.«(٥٥)

النتيجة:

ويتضح من كلامنا ان علم التبليغ يشكل اساس انعكاس الاسلام على الحياة. وان دراستنا حول وجوب كون رسائل النور تعود لهذا النوع من العلم دليل على وجود هذا العلم . لذلك فإنني لم ار ضرورة الى تناول وجود هذا العلم بشكل مفصل. كما ان هناك آثاراً اخرى دخلت هذا الصنف من العلم في تاريخ الاسلام غير رسائل النور. وأفضل مثال عليها هو كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي، واحياء علوم الدين للغزالي.

وإذا وضعنا هذه الحقيقة بعين الاعتبار فإنه سيتم فهم رسائل النور بشكل أفضل، الى جانب إنهاء النقاشات الفضولية حول هذه الرسائل. وعلينا ان لا ننسى ان بديع الزمان مثله مثل المجاهدين المسلمين الآخرين كافح من اجل انعكاس الاسلام على الحياة، وقام بتأليف هذه الآثار من اجل هذه الغاية وضمن مفهوم واجبات العالم المسلم. والاعتراضات التي ستوجه اليه يجب ان تكون ضمن نفس المفهوم، وليس من واجبات العلم فقط، بل بصفة العلم النوراني الذي يطلبه الإسلام في العالم.

* * *

الهوامش

(١) انظر : الب ارسلان أجق كنج؛ فلسفة المعرفة »إسطنبول: منشورات إنسان، ١٩٩٢م.

(٢)من أجل المزيد انظر المصدر السابق.

(٣) سورة فاطر، آية ٢٨

(٤) سورة الزمر، آية ٩

(٥) سورة طه، آية ١١٤.

(٦)مثلاً انظر سورة آل عمران، آية ١٨؛ النساء، آية ١٥٧؛ الانعام ، آية ١١٩، ١٤٠- ١٤٤؛ النحل ، آية ٢٥؛ لقمان، آية ٢٠

(٧)البخاري؛ كتاب العلم، ٧١- ٧٢

(٨)البخاري؛ كتاب العلم، ٨٦

(٩) ابو داود، »العلم« ١. الترمذي، »العلم« ، ١٩. النسفي، »الطهارة«، ١١٢. ابن ماجه، »المقدمة« ، ١٧. أحمد بن حنبل، مج ٤،ص ٢٣٩- ٤١مج ٥، ١٩٦

(١٠)مسلم، »الوصية« ، ١٦٢١. البخاري، ادب المفرد.

(١١) علي المتقي الهندي. كنز العمال» بيروت ، ١٩٨٥م«، مج١٠، ١٤، ٢٨٧١٤- ٥. يبين الخطيب البغدادي ان هذا الحديث موضوع. انظر تاريخ بغداد، ٢، ١٩٣. ويشاركه الرأي ابن الجوزي ايضا. انظر العلل المتناهية. (فيصل آباد، باكستان، ادارة العلوم الاثرية، ١٩٨١م«، ١، ٧٢٠٧١. ويقال ان هناك احاديث موضوعة كثيرة في هذا الموضوع. ورغم ذلك فإنا نقول انها لو لم تكن احاديث فقد قبلت بين المسلمين لأنها تعكس العقلية التي ربّى عليها الرسولﷺ المسلمين. لذلك حتى لو كان الحديث الذي يعظم العلم موضوعاً ، فإنه يعكس الاهمية التي اعطاها المسلمون للعلم. وفي هذه الحالة يمكن ذكر مثل هذه الاحاديث من اجل شرح اهمية المعرفة في الاطار الاسلامي.

(١٢) مثلاً انظر، Franz Rosenthal. Knowledge Triumphant: The Concept of "Knowledge in"Medieval islam (Leiden : E.j. Brill, 1970 قد استفدت من هذا الكتاب في تحقيق اقسام »كتاب العلم« في كتب الحديث ما عدا صحيح البخاري.

(١٣) ابن ماجه، المقدمة، ١٧، ١٠٢٢٤، ٨١ »مصر، ١٩٥٢م«. من اجل الرويات الأخرى انظر كنز العمال، ١٠، ٢٨٦٥١٠١٣١- ٢٩٦٥٤

(١٤) سورة البقرة، آية ١٢٠

(١٥) سورة آل عمران، آية ٦١

(١٦)سورة الرعد، آية ٣٧

(١٧) سورة هود، آية ١٤

(١٨)سورة النمل، آية ١٥

(١٩)سورة الاعراف، آية ٥٢.

(٢٠)مثلاً انظر، سورة هود، آية ١٤ سورة مريم، آية ٤٣. سورة النحل، آية ٤٠ سورة الانعام ، آية ١٤٣

(٢١) البخاري؛ كتاب العلم، ٦٤

(٢٢) سورة البقرة، آية ٢٦

(٢٣) سورة الروم، آية ٢٩

(٢٤) سورة لقمان، آية ٢٠

(٢٥) سورة البقرة، آية ١٥١

(٢٦) الكلمات/٨٤٨

(٢٧) (صيقل الاسلام / المناظرات/٤٢٨) ، إسطنبول، دار سوزلر للنشر ، ١٩٧٧م، ٧٢

(٢٨) سورة الانعام، آية ١١٩

(٢٩) سورة الانعام ، آية ١٤٠

(٣٠) سورة الانعام ، آية ١٤٤

(٣١) سورة الاحقاف، آية ٢٣

(٣٢) سورة الانعام، آية ١١١

(٣٣) سورة الفرقان، آية ٦٣

(٣٤) الكلمات،/٢٩٠

(٣٥، ٣٦) الكلمات/ ٢٩١

(٣٧) ابن ماجه »المقدمة« ، ١٧، ٢٢٤؛ ١،٨١، »مصر ١٩٥٢«. انظر كنز العمال ، ١٠، ١٣١؛ ٢٨٦٥- ٢٨٦٥٤

(٣٨) مسلم، »كتاب الذكر«، ٧٣. ابو داود ، »الوتر«، ٣٢. الترمذي، »الدعوات«، ٦٨ النسائى، »الاستعاذة«، ١٣، ١٨، ٢١، ٦٤. ابن ماجه، »المقدمة«، ٢٣. »الدعاوى، ٢، ٣. احمد بن حنبل ، مج ٢، ١٦٨، ١٩٨، ٣٤، ٣٦٥، ٤٥١، مج ٣، ١٩٢، ٢٥٥، ٢٨٣، مج ٤، ٣٧١، ٣٨١.

(٣٩)كنز العمال، مج ١٠، ١٩٦؛ ٢٩٠٣٤

(٤٠) الكلمات ، ٧١١

(٤١) وذلك لانه يذكر الفرق بين رسائل النور وعلم الكلام على الشكل التالي: »حقاً! ان معرفة الله المستنبطة بدلائل علم

الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين ان تلك العرفة متي ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من اجزاء رسائل النوربمثابة مصباح يضئ السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم« المكتوبات/ ٤٢٤

(٤٢) الكلمات/ ٢٩٣

(٤٣) مأخوذ عن »دعوتي«ب-التركية/ رحمي اردم »إسطنبول، منشورات تيماش، ١٩٩٣م«، ص ٩٤-٩٥

(٤٤) المكتوبات/٤٥٧

(٤٥) المكتوبات/٤٧٦

(٤٦، ٤٧) المكتوبات / ٤٨٥ ، ٤٨٧

(٤٨) الملاحق - قسطموني/ ١٠٤

(٤٩) المكتوبات/ ٤٢٤

(٥٠) المكتوبات/ ٤٨٦

(٥١) الملاحق - قسطموني / ١١٨

(٥٢) اللمعات/ ٢٠٧

(٥٣) انظر- صيقل الاسلام/ لمناظرات ،٤٢٨

(٥٤) انظر الهامش ٤٢

(٥٥) الملاحق - قسطموني / ١٣٣